مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

بواعث الخوف في شعر

د/ حمدي حميد عباس

كلية دار العلوم – جامعة المنيا

مقـــدمـــة:

الحمد لله الذي خلق الكون ونظمه وخلق الإنسان وعلمه ، والصـــلاة والســـلام علـــى المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد – صلى الله عليه وســـلم، وعلـــى آلـــه وأصـــحابه أجمعين.

أما بعد،،،

يُعد الإحساس بالخوف من المشاعر والأحاسيس التي صورها الشاعر العربي، وقـــد تنوع هذا الإحساس باختلاف الظروف التي يمر بها الناس، واختلف من شاعر إلى آخر باختلاف دواعي الخوف وبواعثه ؛ لذا يحاول هذا البحث رصد صـــور من المخاوف التي جسدها الشاعر أمل دنقل في أعمالة الشعرية .

وقد جاء البحث في مقدمة : تناولت فيها أهمية البحث وطبيعته ، يليها تمهيد وثلاثة مباحث ، وقد تناول التمهيد تعريفًا موجزًا بالشاعر أمل دنقل ثم الوقوف على حد الخوف وتعريفه. أما الخوف من الله فقد كان هو المبحث الأول لهذا البحث ، وفي المبحث الثاني تناولت مظاهر الخوف من الموت في شعر أمل دنقل ، ثم جاء المبحـــث الثالـــث ليـــدرس خوف الشاعر أمل دنقل على الإسلام والعروبة ، وأردفت هذه المباحث بأهم النتائج التـــي توصل إليها البحث ، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع .

<u>تمهيد: التعريف بالشاعر / تعريف الخوف :</u>

أولًا: التعريف بالشاعر أمـــل دنقـــل([1])

ولد أمل دنقل في عام ١٩٤٠م بقرية "القلعة" بمركز " قفط" على مسافة قريبـــة مـــن مدينة (قـــــنا) في صعيد مصر. كان والده عالمًا من علماء الأزهـــر، حصـــل علـــى (إجازة العالمية) عام ١٩٤٠م فأطلق اسم "أمـــــل" على مولوده الأول تيمناً بالنجاح الذي أدركه في ذلك العام . وكان يكتب الشعر العمودي، ويملك مكتبة ضخمة تضم كتب الفقـــه والشريعة والتفسير وذخائر التراث العربي، التي كانت المصدر الأول لثقافة الشاعر.

١- انظـــر: عبلة الرويني : الجنوبي (أمـــل دنقـــل) ، دار سعاد صباح – القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٢ م ، انظـــر : أحمد الدوسري : أمل دنقل شاعر على خطوط النار ، القسمة العربية للدراسات والنشر – الدوحة ، ٢٠٠٢م.

فقد أمل دنقل والده وهو في العاشرة ، فأصبح، وهو في هذا السن، مسؤولاً عن أمه وشقيقيه . ثم أنهى دراسته الثانوية بمدينة قنا، والتحق بكلية الآداب في جامعة القاهرة لكنه انقطع عن متابعة الدراسة منذ العام الأول ليعمل موظفًا بمحكمة(قنا) وجمارك السويس والإسكندرية ثم موظفاً بمنظمة التضامن الأفروآسيوي ، لكنه كان دائم الفرار من الوظيفة لينصرف إلى الشعر، عرف بالتزامه القومي وقصيدته السياسية الرافضة ولكن أهمية شعر دنقل تكمن في خروجها على الميثولوجيا اليونانية والغربية السائدة في شعر الخمسينات، وفي استيحاء رموز التراث العربي تأكيداً لهويته القومية وسعيًا إلى تطوير القصيدة وتحديثها.

عرف القارئ العربي شعر أمل دنقل من خلال ديوانه الأول "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" (١٩٦٩) الذي جسد فيه إحساس الإنسان العربي بنكسة ١٩٦٧ وأكد ارتباطه العميق بوعي القارئ ووجدانه .صدرت له ست مجموعات شعرية هي :البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" – بيروت ١٩٦٩، تعليق على ما حدث" – بيروت ١٩٧١، مقتل القمر" – بيروت ١٩٧٤، العهد الآتي" – بيروت ١٩٧٥، أقوال جديدة عن حرب البسوس" – القاهرة ١٩٨٣، أوراق الغرفة ٨" – القاهرة ١٩٨٣م .لازمه مرض السرطان لأكثر من ثلاث سنوات صارع خلالها الموت دون أن يكفّ عن حديث الشعر، ليجعل هذا الصراع "بين متكافئين: الموت والشعر" توفي في مايو عام ١٩٨٣م في القاهرة.

في صباه الباكر كان شديد التدين، لا يترك فرضًا، يلقي خطب الجمعة في المساجد، وحمل عهدًا وطريقًا على منهاج الشيخ إبراهيم الدسوقي، ثم ترك النشاط الديني في شبابه معجبًا بالماركسية والوجودية، لكن القلق الميتافيزيقي ظل يحمله في داخله دائمًا، رافضًا يقينية الشرائع والأفكار، باحثًا دومًا عن الحقيقة والاطمئنان الكامل.

كان عاشقاً للحياة، وكأنها الأبد، وفي المقابل يحمل في كل لحظة الموت في أعماقه ، مرددًا دائمًا "إنني ابن الموت"، ومتنبئ به دائمًا، في العشرين من عمره ذكر أنه لابد منتحر في الثلاثين، وفي الثلاثين أكد أن حياته لابد أن تنتهي في الأربعين.

في السابعة عرف فقد الأخت، وفي سن العاشرة عرف فقد الأب، ثم فقد الأهل، وفقد المدينة وفقد الوطن، هذا الفقد المتواصل وضعه دائمًا في مواجهة الموت، لكنه لم يفقده

لحظة عشقه للحياة، لأنه لم يعرف لحظة فقدان ذاته وضياع نفسه، إن هذا الاستمتاع بالحياة هو نتاج وعي بالموت كحقيقة، وإدراك لحتميته.

ظل الموت دائمًا هو الحقيقة، وثمن الطريق، وظلت حياته دائمًا هي الصراع والمقاومة المستمرة حتى النهاية، فمن رآه رأى دمه. إنها الموهبة، وإنه الشعر.. المدخل والتجربة وانتصارها.

ثانياً: تعريف الخوف:

نكتفي في هذا التمهيد للحديث عن الخوف بما يصلح مهادًا نظريًّا ، ولن نتطرق لتفصيلات علماء النفس ؛ لأن بحوثهم فيها البسط والتفصيل والتحليل ، فكل يتناول الظاهرة من زوايا معينة ، حسب خطته المنهجية والغاية من بحثه ، فنقف على تعريف الخوف قديما وحديثاً.

وقد جاء في لسان العرب" الخوفُ لغة : الفزعُ ، خافه يخافُه خوفًا وخيفةً ومخافةً، وخوَّفَ الرجلَ إذا جعلَ فيه الخوفَ وخوَّفتَه : إذا جعلتَه يخافُ الناسَ . ويقول ابنُ سِيدَه : – كما أورد ذلك بن منظور– خوَّفَ الرجلَ : جَعَلَ الناسَ يخافونَهُ ، وفي التنزيلِ : (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ)[1] ، أي : يجعلُكُمْ تخافونَ أولياءَهُ ، وقال ثعلب : معناه يخوفُكُمْ بأوليائهِ ، قال : أراه تسهيلاً للمعنى الأول.

والخوفُ : القتلُ . والخوفُ : القتالُ ، وبه فسَّر اللحيانيُّ قولَه تعالَى (:وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالْجُوعِ)[2] وقولَه تعالى(: وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ)[3] أي : القتل . ويُراد به أيضا العلم.

أما الإمام أبو حامد الغزالي فقد وقف في " الإحياء " عند تعريف الخوف من جهة أسبابه وآثاره ، فقال " : الخوفُ عبارةٌ عن تألُّمِ القلب واحتراقِه بسبب توقُّع مكروه في

---

١ – سورة آل عمران ، الآية :١٧٥

٢ – سورة البقرة ، الآية : ١٥٥

٣ – سورة النساء ، الآية ، ٨٣

الاستقبال "([1]) ، فالجزء الأول من التعريف تألم القلب واحتراقه يقف على الأثر، والجزء الثاني توقع مكروه يقف على السبب.

أما علماء النفس المحدثون فقد اختلف تعريفهم للخوف ، فمنهم من ركز على كون الخوف حالة انفعالية فطرية ، كعبد العزيز القوصي ، الذي يعرف الخوف بأنه " حالة انفعالية داخلية طبيعية يشعر بها الفرد في بعض المواقف ، ويسلك فيها سلوكا يحاول به الابتعاد عن مصدر الضرر" ([2])، فقد جعل الخوف حالة فطرية طبيعية تظهر على الفرد الخائف أمام إحساسه بالخطر المهدد له ، فينعكس ذلك على سلوكه الذي يحاول به الابتعاد عن مصدر الخطر.

ووقف فريق آخر مؤكدًا على المؤثرات الخارجية للخوف ، فيعرف إبراهيم وجيه الخوف بأنه" ينشأ نتيجة لمؤثرات خارجية معينة ، فليس عند الكائن الحي دوافع فطرية تدفعه للخوف " ([3]) ، فنلاحظ على هذا التعريف أنه يستبعد فطرية الخوف وطبيعته الإنسانية داخل كل فرد ، مخالفا بذلك القوصي الذي قال بفطرية الخوف دون اكتسابه من البيئة الخارجية. بيد أن هناك فريقًا وسطًا قال بفطرية الخوف واكتسابه ، تلافيا لأوجه القصور في الاتجاهين السابقين، من هذا الفريق الثالث أسعد رزق الذي يعرف الخوف بأنه " أحد الانفعالات البدائية العنيفة يتملك المرء فيشله عن الحركة ويخمد نشاطه ، ويتصف الخوف بحدوث تغيرات واسعة المدى في الجسم ، كما يتصف بسلوك لدى الشخص قوامه الهرب أو الفرار أمام المثير الخارجي "([4]).

١- الغزالي : إحياء علوم الدين ، بهامشه تخريج الإمام الحافظ العراقي ، مكتبة مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٩٨ م ، ج٤ ، ص: ١٩٠

٢- عبد العزيز القوصي : أسس الصحة النفسية ، النهضة المصرية ، القاهرة، (د.ت) ، ص ٣٢٩

٣-إبراهيم وجيه محمود : مدخل إلى علم النفس ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ م ، ص: ٥٠

٤- أسعد رزق : موسوعة علم النفس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٧ م ، ص ١٢

المبحث الأول: الخوف من الله

عبر أمل دنقل عن علاقته بالله – سبحانه وتعالى– ، واستلهم من خلال ذلك كثيرًا من اشتراطات العقيدة الإسلامية ومستلزماتها من خلال الشعر، وقد غلب على هذا النوع من الشعر معاني الاستغفار والاستشفاع والاسترحام ، وتناول قسم كبير منه معاني العاقبة بعد الموت من خلال استذكار الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تتعلق بالحساب في الآخرة والجزاء على ما تنص عليه صحائف الأعمال، والتوبة وتوخي حسن العاقبة ، ومن أمثلة ذلك قوله :

وحتى أين؟
تعذبني خطيئاتي... بعيداً عن مواعيدك
وتحرقني اشتهاءاتي قريباً من عناقيدك!
وفي صدري
صبي أحمر الأظفار والماضي
يخطط في تراب الروح،
في أنقاض أنقاضي!
وأنظر نحو عينيك
فترعشني طهارة حب
وتغرقني اختلاجة هدب
وألمح، من خلال الموج، وجه الرب
يؤنبني
على نيران أنفاسي يُقلبني
وأطرق..
والصراع المرُّ في جوفي يعذبني!!
أحدق في خطوط الصيف في شفتيك:
يعوي داخلي الحرمان
لهيب آدمي الشوق، مصباحان يرتعشان
وأهرب نحو عينيك:

يطالعني الندى والله والغفران!
وأسقط بين نهديك
لتحترق الرُّؤى
وأغرق فيهما بالنار والشك(١).

وقد شاع الحديث عن أهمية العمل الطيب والبعد عن خطوات الشيطان ، فالشيطان خسر عندما قال (لا) عاصياً أمر ربه ، ومن أمثلة ذلك قول أمل دنقل:

الله . لم يغفر خطيئةَ الشيطانِ حين قال لا!
والودعاءُ الطيبون..
هم الذين يرثون الأرض في نهاية المدى(٢).

والذي يبدو واضحًا في شعر أمل دنقل أنه لم يكثر الحديث عن خوفه من الذات الإلهية ، والحديث عن عذاب القبر وظلماته ، والحديث عن الدار الآخرة ، لكنه في المقابل استلهم القرآن الكريم في عديد من المفردات والعبارات، وفي كثير من القصص والمواقف وبعض الشخصيات، وبالتالي حفل شعره بكلمات وعبارات قرآنية، وأحيانًا كان يحاكي في أسلوبه نسق القرآن ونظمه ، واستلهام القرآن والاقتباس منه لون بلاغي له قيمته الفنية والجمالية، وله تأثيره في النص الشعري ، ومن أمثلة ذلك قوله :

أيها السادة لم يبق انتظار
قد منعنا جزية الصمت لمملوك وعبد
وقطعنا شعرة الوالي "ابن هند "
ليس ما نخسره الآن.
سوى الرحلة من مقهى إلى مقهى
ومن عار ... لعار(٣).

فقد استلهم أمل دنقل في الأبيات السابقة شخصية معاوية بن أبي سفيان وقولها "

١- أمـــل دنقــل : الأعمال الكاملة ، مكتبة مدبولي – القاهرة ، ١٤٠٧ه -١٩٨٧م ، ص: ٤٧:٤٨

٢- أمــل دنقــل : الأعمال الكاملة ، ص: ١١٢

٣ – أمل دنقل : الأعمال الكاملة ، ص: ١٨٣

لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ، لأنهم إذا شدوا أرخيت وإن رخوا شددت"([1]) ، فحضور الشخصية جاء من خلال اقتباس مقولتها ، وإن كان دنقل يقصد بحضور شخصية معاوية دلالات أخرى نحن لسنا بصدد الحديث عنها في هذا البحث .

ورغم كثرة استلهام النصوص القرآنية في شعر أمل دنقل إلا أنه ينظر إلى النصوص المقدسة –عامة –النظرة نفسها لأي نص عادي مما كتبه البشر، إنه لا يعامله باعتباره نصًا إلهيًا له قداسته التي تجعله محتفظًا بمدلولاته الأصلية دون تغيير؛ فهو يأخذه مأخذ القول المأثور أو الحكمة والمثل وبيت الشعر؛ فيدخله في قصيدته أياً كان موضوعها: غزلياً أو عاطفيا أو سياسيًا واجتماعيًا، وقد تسبقه وتأتي بعده كلمات وعبارات لا يصح أن يأتي في سياقها، وبسببها يتغير مدلوله عما كان وهو في السياق القرآني.

وحين يستوحي أمل دنقل قصة قرآنية أو شخصية منها أو أحد مواقفها – فإنه يجردها من القداسة التي اكتسبتها باعتبارها وحيا منزلاً لا يأتيه الباطل، ويتعامل معها تعامله مع الأسطورة والشخصيات والإشارات التاريخية التراثية، فيحملها ما يريد من معانٍ ومضامين، حتى وإن تعارضتْ مع مضمونها الأصلي في السياق القرآني، وهذا خطأ من الشاعر، فاستدعاء شخصية النبي سليمان – عليه السلام – من الأمثلة الدالة على ما ذكرته آنفًا، فنجده يتناص مع شخصية سيدنا سليمان –عليه السلام – بما يخدم شعرية نصه دون الخوف على بنية النص الديني الموروث ، فنجده يقول في قصيدة (أيلول):

أيلول الباكي في العام
يخلع عنه في السجن قلنسوة الإعدام
تسقط من سترته الزرقاء ...الأرقام!
يمشي في الأسواق يبشر بنبوءته الدموية
ليقول لنا : إن سليمان الجالس منكفئاً
فوق عصاه
قد مات! ولكن نحسبه يغفو حين نراه!!([2])

---

١ – محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ، دار الإيمان – الإسكندرية ، ط١ ، ٢٠٠٦ م ، ص : ٢٣٤

٢ – أمل دنقل : الأعمال الكاملة ، ص: ٤٤

فلعل القارئ لشعر أمل دنقل يلحظ: ضعف أو خفوت النزعة الإيمانية والحس الديني لدى الشاعر، وهو ما جعله يسقط القداسة والإجلال عن النص القرآني، وينظر إليه نظرته للنص البشري. بالإضافة إلى محدودية الثقافة الدينية لديه ؛ فلم يستطع فهم التعبير القرآني على حقيقته أحيانًا.

كما يمكن لنا أن نرجع ضعف النزعة الإيمانية لدى أمل دنقل إلى أنه لا يستعد بكل المعلومات والأدوات، فهو لم يطلع -فيما أظن -على التفاسير المعروفة للقرآن الكريم، وربما لم يقرأ كل ما ورد عن القصة أو الشخصية القرآنية في الكتاب العزيز؛ بل اكتفى بنص واحد علق بذاكرته، ويخيل إلي أنه لم يفكر في الرجوع للمعاجم اللغوية حتى يطمئن إلى مدلول الكلمة التي يقتبسها.

المبحث الثاني: الخوف من الموت :

إن معالجة أمل دنقل لقضية الموت والمصير الإنساني لم تقف عند حد التعريف بالموت بل شملت نطاقات أوسع ترتبط بالواقع السياسي والاجتماعي.

لم ينظر أمل دنقل للموت من منظور دنيوي مادي محض يستمد مفاهيمه ومعانيَه من الحياة الدنيا، ويقوم على أساس التشبث بها وبكل ما فيها من متع وملذات، حيث إن" الإنسان من قديم حريص على الخلود كَلِفٌ بمصارعة الزمان، يريد جهد استطاعته أنْ يؤكّد ذاته وسط سيله القوي الجارف اللانهائي" (١)، وإنما ربط بين الموت وبين سلب الحريات والاستبداد والظلم ، فالموت عنده اتخذ منحي مجازيًا بعيدًا عن المعني الحقيقي.

ويحتل الخوف من الموت الترتيب الأول في نفوس البشر على مر الأزمنة من حيث الأكثر نفوراً وخوفاً منه ، ولهذه المساحة التي يحتلها الخوف من الموت في نفوس البشر ، ترى (ميلاني كلاين) أن الخوف من الموت " هو أساس كل قلق، وأنه كامن وراء كل المخاوف ، وأن معظم أنواع القلق الأخرى ، ما هي إلا مظهر خادع لقلق الموت(٢).

وأول ما يصادفنا من حديث أمل دنقل عن الموت قوله:

مُعَلَّقٌ أنا على مشانق الصباح
وجبهتي ــ بالموت ــ محنيَّة!
لأنني لم أحنها .. حيَّة !(٣).

ففي الأبيات السالفة الذكر نجد أن شاعرنا ينظر إلى الموت من جهة أنه خوف وانكسار أمام رب العباد، فبعد الموت تصير الروح إلى خالقها في انكسار وخضوع ومذلة ، مما يكشف لنا أن خوفه من الموت لم يكن سببه التمسك بالأمور الدنيوية والمادية ، وإنما سببه الخوف من الله –عز وجل–.

---

١ – عبد الرحمن بدوي: الموت والعبقرية ، دار القلم– بيروت– لبنان ، ١٩٤٥م ، ص: ١٠٩

٢– أحمد محمد عبد الخالق : قلق الموت ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ١١١ ، مارس ١٩٨٧ م ، ص: ٤١

٣– أمل دنقل : الأعمال الكاملة ، ص : ١١٠

فيما تناول أمل دنقل معاني الأسف والألم والحسرة على مفارقة الأحبة للحياة، والخوف الشديد من الحياة بعد موتهم الذي هو عاقبتها وهم يواجهونه وجهاً لوجه، وبه تنتهي آمالهم بمفاتنها، فيقول:

شقيقتي " رجاء " ماتت وهي دون الثالثة
ماتت وما يزال في دولاب أمي السري
صندلُها الفضي
صدارُها المشغول، قرطُها، غطاء رأسها الصوفيّ
أرنبها القطنيّ!
وعندما أدخل بهو بيتنا الصامت
فلا أراها تمسك الحائط.. علَّها تقف!
أنسى بأنها ماتت
أقول: ربما نامت
أدور في الغرف
وعندما تسألني أمي بصوتها الخافت
أرى الأسى في وجهها الممتقع الباهت
وأستبين الكارثة(١).

ففي الأبيات الشعرية السابقة يرثي أمل دنقل شقيقته التي تُوفيت في سن مبكرة ، ومن الملاحظ أن ذلك قد يحيلنا إلى الإقرار بأن باعث الخوف من الموت يعد ضرباً من ضروب الرثاء.

ويتصل الخوف من الموت بالطمع في الحياة وبعلاقات الشاعر الإنسان بالوطن والأحباب والجيران وما وراء ذلك من ذكريات عزيزة على القلب، ملتصقة بالروح، فيعز فراقها، ويصعب تناسيها " يتوقع الموت خاتمًا للحياة، ولكنه يحرص جاهدًا أن يظل حيًّا ومن أعز أمانيه بل أغلى آماله أن يطول عمره أكثر فأكثر. وكلما تقدم به العمر ازداد المرء رغبة في الحياة"(٢) ، ففي قصيدة (لا تصالح) نجد الزير سالم وهو مشرف على

١- أمـــل دنقل : الأعمال الكاملة ، ص: ١٤٩:١٥٠

٢ - أمين رويحة : شباب في الشيخوخة ، دار القلم ، بيروت- لبنان ، ط٢، ١٩٧٢م ، ص: ٢٣

الموت يوصي أخاه كليبًا بألا يصالح مذكرًا إياه بذكريات الطفولة وبالأهل والأحبة ، يقول أمل دنقل:

لا تصالحْ!
ولو منحوك الذهبْ
أترى حين أفقأ عينيكَ
ثم أثبت جوهرتين مكانهما..
هل ترى..؟
هي أشياء لا تشترى:..
ذكريات الطفولة بين أخيك وبينك،
حسُّكما – فجأةً – بالرجولةِ،
هذا الحياء الذي يكبت الشوق.. حين تعانقُهُ،
الصمتُ – مبتسمين – لتأنيب أمكما..
وكأنكما
ما تزالان طفلين!
تلك الطمأنينة الأبدية بينكما:
أنَّ سيفانِ سيفَكَ..
صوتانِ صوتَكَ
أنك إن متَّ:
للبيت ربٌّ
وللطفل أبْ(١).

١- أمل دنقل : الأعمال الكاملة ، ص: ٣٢٤:٣٢٥

المبحث الثالث: الخوف على الإسلام والعروبة:

أكثر دنقل من استخدامه التراث خاصة التراث القومي والديني بهدف تربية الحس القومي لدي الناس عامة ولدي أفراد يتميزون بجهلهم لتاريخهم ويضعف الشعور القومي عندهم، لهذا استدعي في أشعاره كمًا كبيرًا من الشخصيات التاريخية والإسلامية والأخرى من الأدب الشعبي والملامح التي تجسد بذكرها البطولات والأمجاد والشهامة والتضحية ، وذلك لإزالة الغشاوة عن عيون الأمة العربية ، وضخ الدماء في قلوب هذه الأمة التي نفذ فيها اليأس والقنوط، ومن أجل أن يعطي تلك الشخصيات التاريخية أبعاداً معاصرة تجعلها قادرة علي الحياة في الحاضر والماضي معاً([1]).

إن خوف أمل دنقل على العروبة والإسلام دفعه لاستعارة الشخصيات والعناصر التراثية ، في الدفاع عن القومية العربية وتمجيدها وتقدمها ، فنجده يقول:(الشاعر في العالم العربي، وفي ظل الظروف الاجتماعية والسياسية السائدة مطالب بدورين: دور فني، أن يكون شاعراً، دور وطني ، أن يكون موظفاً لخدمة القضية الوطنية وخدمة التقدم ، ليس عن طريق الشعارات السياسية وليس عن طريق الصياح والصراخ وإنما عن طريق كشف تراث هذه الأمة وإيقاظ إحساسها بالانتماء وتعميق أواصر الوحدة بين أقطارها"([2]).

ومن أهم المظاهر التي توضح خوف أمل دنقل على العروبة والإسلام هزيمة يونيو ١٩٦٧(النكسة) ، ففي الأيام الأولى للنكسة أو الهزيمة كان أمل دنقل يقرأ قصيدة (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) ، وفيما تبقى من عام ١٩٦٧م وإلى أوائل السبعينات كانت القصيدة على كل لسان، فقد كانت تعبيراً عميقاً وصادقاً عن الموقف فيقول:

أيتها العرافة المقدسة جئت اليك مثخنا بالطعنات والدماء
أزحف في معاطف القتلى، وفوق الجثث المكدسة
منكسر السيف، مغبر الجبين والأعضاء

١- انظر : عبد السلام المساوي : البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٤م ، ص: ١٤٣.

٢- نسيم مجلي : أمير شعراء الرفض(أمل دنقل) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٤م، ص: ٢٥

أسأل يا زرقاء
كيف حملت العار
ثم مشيت، دون أن أقتل نفسي، دون أن أنهار
ودون أن يسقط لحمي من غبار التربة المدنسة([1]).

وفي القصيدة نفسها نلمس موقفًا من مواقف الخوف على العروبة والإسلام الذي تجسد في وفاة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر الذي فرحت أوروبا والعالم كله لموته، إذ وبعد ثلاثة أعوام تقريبًا من وقوع الهزيمة التي مزقت حياة العرب المعاصرين رحل جمال عبد الناصر، وكانت وفاته أو بالأصح كان غيابه في الساحة العربية في مثل تلك الظروف الفاجعة هزيمة أخرى ، فانفجر أمل دنقل يرثي ويبكي جمال عبد الناصر، لكن بنوع مرير من السخرية ، فيقول:

قيل لي" أخرس"
فخرست، وعميت وائتممت بالخصيان
ظللت في عبيد "عبس" أحرس القطعان
أجز صوفها
أرد نوقها
أنام في حظائر النسيان
طعامي: الكسرة والماء وبعض التمرات اليابسة
وها أنا في ساعة الطعان
ساعة أن تخاذل الكماة والرماة والفرسان
دعيت للميدان
أنا الذي ما ذقت لحم الضأن
أنا الذي لا حول لي أو شان
أنا الذي أقصيت عن مجالس الفتيان
أدعى إلي الموت .. ولم أدع إلي المجالسة([2]).

١- أمل دنقل : الأعمال الكاملة ، ص: ١٢١:١٢٢

٢ - أمل دنقل : الأعمال الكاملة ، ص: ١٢٣:١٢٤

يتحدث هذا الجزء من قصيده البكاء بين يدي زرقاء اليمامة عن عبد من عبيد عبس يظل يحرس القطعان، يصل الليل بالنهار في خدمة السادة، طعامه الكسرة والماء وبعض التمرات اليابسة، وحين تقع الواقعة لا يملك هذا العبد سوى التوجه إلى (زرقاء اليمامة) التي يعتبرها أمل كاهنه المستقبل ، كي ينفجر في حضرتها شعرًا

وفي عهد الراحل أنور السادات يسجل أمل دنقل أقصى درجات خوفه على العروبة والإسلام برفضه اتفاقية (كامب ديفيد) فيكتب أمل دنقل لا تصالح ، فيقول:

لا تصالحْ!

..ولو منحوك الذهب

أترى حين أفقأ عينيك

ثم أثبت جوهرتين مكانهما..

هل ترى..؟

هي أشياء لا تشتري!!!

لا تصالح على الدم .. حتى بدم

لا تصالح ! ولو قيل رأس برأسٍ

أكلُّ الرؤوس سواءٌ ؟ .... أقلب الغريب كقلب أخيك ؟

أعيناه عينا أخيك ؟!

وهل تتساوى يدٌ .. سيفها كان لك

بيدٍ سيفها ... أتْكَلك ؟([1]).

والسبب الذي دفع أمل دنقل لكتابة قصيدة (لا تصالح) لم يكن رفضه السلام وإنما لأنه يرفض الاستسلام، ويخاف من عدم إعادة جميع الحقوق لأصحابها، وإلا فلا لزوم له، ولا مفر من مواصلة الكفاح من أجل استعادة الأراضي السليبة كلها، وما أسرع ما تحولت (لا تصالح) إلى قصيدة قومية يرددها كل المتخوفين من التنازلات التي قدمها السادات ثمنًا للصلح مع إسرائيل، وكانت حدة رفضه السياسي في ذلك الوقت مقرونة بالسخرية التي كانت تدفعه إلى كتابة أسطر من قبيل:

١- أمل دنقل : الأعمال الكاملة ، ص: ٢٢٤:٢٢٦

أيها السادة: لم يبق انتظار
قد منعنا جزيةَ الصمت لمملوكٍ وعَبْدْ
وقطعنا شعرةَ الوالي "ابن هند"
ليس ما نخسره الآنَ...
سوى الرحلة من مقهى لمقهى
ومن عارٍ لعَارْ!!([1]).

فلقد تمتع أمل دنقل بحس وطني وقومي غير مسبوق ، كان الدافع وراء هذا الحس الوطني والقومي هو خوف الشاعر على الإسلام والعروبة وحبه لهما ، ومما هو جدير بالذكر أن خوف شاعرنا أمل دنقل على الإسلام والعروبة تسبب له في كثير من الصدامات السياسية مع الأنظمة الحاكمة.

وبسبب خوف أمل دنقل من الوقيعة بينه وبين الأنظمة الحاكمة جعل معظم كتابته تتسم بالرمز ، حيث إن كُتاب الأدب" اتخذوا في مصر منحى خاصاً أخرجه– في الحقيقة – عن طبيعته، إذ جعل كتاب القصة أو الشعر – تحت سطوة الرقابة ورعب الاعتقال – يكتبون أشياء مفككة مضطربة يضمنونها رمزًا عن سوء الأحوال، بحيث تبدو القصة أو القصيدة أشبه بلغز يتسلى القراء بحله"(٢)، ورغم أن هناك العديد من الأدباء والنقاد من يرون أن الأدب الرمزي فن قائم بذاته فيه دعوة من القارئ لإعمال فكر المتلقي وإشراكه في العمل الأدبي ، بحيث تصبح دلالة النص غير مكتملة ومتوقفة على المتلقي أو القارئ الذي يقوم بإكمالها.

١– أمل دنقل : الأعمال الكاملة ، ص:٢٤٨

٢ – شكري محمد عياد: القفز على الأشواك كوميديا الأسطورة، مقال من كتاب مستجاب الأول، دار النيل للنشر والطبع والتوزيع – القاهرة – مصر ، ٢٠٠٣م ، ص: ١٣

خاتمـــة البحـــث

١- كان للخوف عند أمل دنقل الفضل في نظم عدد من القصائد يمكن معه تأسيس اتجاه شعري جديد يتفرع من الرثاء ونسميه رثاء الحياة ، فيتضمن رثاء النفس وهي تغادر الحياة، ورثاء الحياة نفسها وهي تغادر، أما الخوف على الإسلام والعروبة فمكن أن ينضوي تحت اتجاه الشعر السياسي.

٢- كشف البحث عن أن الاتجاهات الثلاثة السابقة وجدت في شعر أمل دنقل، وقد شملت كل الحقب الزمنية، وأن حياة أمل دنقل كانت محاصرة بالخوف .

٣- كانت علاقة أمل دنقل- كما هو معروف – بالذات الإلهية مضطربة بعض الشيء مما أدى إلى نضوب شعر الخوف من الله في شعر أمل دنقل ليختلف تماماً عن باقي شعراء عصره ، ولكن هذا لا يتعارض مع كثرة استلهام الشاعر أمل دنقل للنصوص القرآنية والدينية التي توحي بعقيدة المستلهم الإيمانية.

٤- وفضلاً عما سبق فإن شعر الخوف لدى أمل دنقل استطاع أن يثبت أنه قادر أن يكون وثيقة تاريخية مساعدة تستطيع أن تكشف عن بعض حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وملابساتها، لاسيما وهو يتعرض إلى المعنى الحقيقي للموت وليس المعنى المجازي له.

٥- امتلك أمل دنقل نزعة قومية ووطنية بالغة ، تجلت في رفضه الدائم لبعض السياسات سواء على المستوى المصري أو العربي ، تسببت هذه النزعة في ظهور الخوف في شعر أمل دنقل ، ومن المخاوف التي ظهرت عليه خوفه على الإسلام والعروبة.

٦- تحتاج ظاهرة الخوف في شعر أمل دنقل إلى دراسة أوسع تتناول الجوانب الفنية ، بالإضافة إلى الحديث عن الحقيقي والمجازي في شعر الخوف لدي أمل دنقل ، خاصة الخوف من الموت ، الذي استخدمه أمل دنقل كتقنية يعبر بها عن بعض القضايا الشخصية والعامة.

7- استطاع أمل دنقل أن يُثبت لنا أن قصائده الشعرية قادرة أن تكون وثيقة تاريخية مساعدة تستطيع أن تكشف عن بعض حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وملابساتها.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم برواية حفص

١- إبراهيم وجيه محمود : مدخل إلى علم النفس ، دار المعارف – القاهرة ، ١٩٨٠ م .

٢- أحمد محمد عبد الخالق : قلق الموت ، سلسلة عالم المعرفة – الكويت ، العدد ١١١ ، مارس ١٩٨٧م.

٣- أحمد الدوسري : أمل دنقل شاعر على خطوط النار ، القسمة العربية للدراسات والنشر – الدوحة ، ٢٠٠٢م.

٤- أسعد رزق : موسوعة علم النفس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٧م.

٥- أمـــل دنقـــل : الأعمال الكاملة ، مكتبة مدبولي – القاهرة ، ١٤٠٧ه - ١٩٨٧م.

٦- أمين رويحة : شباب في الشيخوخة ، دار القلم ، بيروت- لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٢م

٧- شكري محمد عياد: القفز على الأشواك كوميديا الأسطورة، مقال من كتاب مستجاب الأول، دار النيل للنشر والطبع والتوزيع – القاهرة – مصر ، ٢٠٠٣م

٨- عبد الرحمن بدوي: الموت والعبقرية ، دار القلم- بيروت- لبنان ، ١٩٤٥م.

٩- عبد السلام المساوي: البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، اتحاد الكتاب العرب- دمشق ١٩٩٤م.

١٠- عبد العزيز القوصي : أسس الصحة النفسية ، النهضة المصرية – القاهرة ، ط٥، ١٩٧٥م.

١١- عبلة الرويني:الجنوبي (أمل دنقل)، دار سعاد صباح- القاهرة، ط١ ،١٩٩٢ م.

١٢- الغزالي : إحياء علوم الدين ، بهامشه تخريج الإمام الحافظ العراقي ، مكتبة مصر للطباعة- القاهرة ، ١٩٩٨ م.

١٣- محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ، دار الإيمان – الإسكندرية ، ط١ ، ٢٠٠٦ م .

١٤ - ابن منظور: لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير وزميليه ، دار المعارف – القاهرة ، (د. ت).

١٥- نسيم مجلي : أمير شعراء الرفض(أمل دنقل) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ١٩٩٤م.